

الفصل الثالث

أهداف الجهاد

إن الهدف من الجهاد الأكبر الذى فرضه الإسلام على كل إنسان يتحقق بتهديب الفرد لنفسه، ومجاهدة هواها، وعدم الانحراف إلى المعاصى، والإلتزام الدائم بإطاعة أوامر الله سبحانه، والانتهاز عن نواهيه، والاقتراء بما جاء فى القرآن الكريم، وفى سنة نبينا محمد ﷺ. والإنسان الذى ينجح فى هذا الجهاد يحقق لنفسه السعادة والسكينة فى الحياة الدنيا، ورضا الله والجنة فى الآخرة.

أما الأهداف التى تتحقق للمجاهد فى مجال (الجهاد الأصغر)، والذى يتمثل فى مواجهة المعتدين على الدين، أو الأنفس، أو الكرامة أو الوطن، فهى أهداف كثيرة، منها:

النجاح فى الدفاع عن النفس: قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿ [الحج: ٣٩-٤٠]. ومن أهداف الجهاد، الدعوة إلى الإسلام وإتاحة الفرصة للضعفاء الذين يريدون اعتناقه، يرد عدوان المعتدين عليهم لقد كان كثير من سكان مكة ومن العرب يميلون للإسلام ويريدون اعتناقه لكنهم كانوا يخافون أن ينزل بهم ما نزل بمن سبقوهم إلى الإسلام من عذاب وإيذاء، حتى اضطر كثيرون ممن أحبوا الإسلام اعتناقه سرا دون أن يعلنوا عن ذلك، فأذن الله لرسوله وللمؤمنين

أَنْ يَحْمِلُوا الدَّعْوَةَ وَيُؤْمِنُوا مِنْ يَدْخُلُ فِيهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ [النساء: ٧٥].

فى مكة: كان الرسول وحيدا لا سلاح معه ولا مال، ثم دخل معه الدعوة مجموعة من عظماء الرجال.

وفى المدينة: سعى أهل المدينة إلى الإسلام بمحبة وحماسة وحين جاء الصليبيون إلى الشرق جذب الإسلام جموعاً منهم، فدخلوا فيه وحاربوا فى صفوف المسلمين.

وفى القرن السابع الهجرى، هاجم (المغول) الجانب الشرقى من العالم الإسلامى، هجوماً وحشياً، ولكن سرعان ما اجتذب الإسلام الكثيرين من الغزاة. ويحدثنا التاريخ أن أهم فترة انتشر فيها الإسلام هى (فترة السلم) الذى ساد بعد (صلح الحديبية) بين قريش والمسلمين^(١).

لا يهدف الإسلام من أى حرب أو (جهاد) إلى قتل أو قتال، أو تدمير، أو عدوان على الطرف الآخر، وإنما يهدف فى الدرجة الأولى إلى (الدفاع) ضد من يبدأ العدوان.

وهو من ناحية أخرى يهدف إلى نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فى سلام ومحبة، دون عوائق من متآمريين عليه، دون فهم، أو محاولة للفهم وهو قد يضطر إلى ردِّ محاولات الهجوم والعرقلة، بهجوم ليرى الأعداء قدرته أو قدرة الداعين إليه. ويهدف الإسلام من (الجهاد) إلى (الدفاع) عن ديار المسلمين، وأرواحهم.

(١) د. أحمد شلبي- الإسلام و القتال. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١- ص: ٨: ص: ١١.

والجهاد فى الإسلام لم يهدف قط إلى الإعتداء، أو إلى حروب لأسباب اقتصادية، أو توسعية، لذا لم يعرف الإسلام (الحروب) التى تقوم بين المسلمين، واعتبرها عدواناً. وذكر مثل هذه الحروب فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَفَنِّلُوا إِلَيْهَا تَبِيحًا حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

هكذا يكون الأمر بالصلح بين الفريقين المتقاتلين، فإن بغت إحدهما تكون الضرورة لقتالها حتى تفى إلى أمر الله، إن المسلم لا يبدأ بقتال أعدائه إلا دفاعاً، وليس عدواناً، ولا يقاتلهم إذا جنحوا للسلم، فكيف يقاتل المسلم أخاه؟!.

لقد دعا الإسلام إلى التعاون بين الدول وتبادل المنافع، والعلوم، واستعمال العقول فيما يفيد البشرية.

وأكد أن (الحروب) لا مبرر لها قط إلا إذا كانت دفاعاً عن الأرض أو الدين، أو العِرض والحريات، أو المقدسات، لتسود (الأخوة الإنسانية) بين البشر جميعاً، فى كل زمان، وفى كل مكان، وقد استفادت الحضارة الغربية فى مكوناتها منذ القدم من الحضارة الإسلامية.

كما أن الحضارة الإسلامية المعاصرة تستفيد من حضارة الغرب، مما يحفز العقول السليمة أن تعى مفهوم التعايش السلمى الذى يدعو إليه الإسلام وأن تجتنب (الصراع) الذى لا يفيد منه أحد، ليعيش الجميع فى سلام يدفع البشرية إلى التقدم والرقى والأمان، إن قتال النبى ﷺ لم يكن إلا دفعا للاعتداء حين أرسل رسوله إلى قيصر وإلى كسرى وإلى

المقوقس والنجاشي وملوك العرب بالشرق والشام فدخل في الإسلام من
النصارى وغيرهم من دخل، فلما بدأ النصارى بقتل المسلمين أرسل
النبي ﷺ سريةً أمر عليها زيد بن حارثة ثم جعفر ثم ابن رواحه.. وهو
أول قتال قاتله المسلمون بمؤتة من أرض الشام^(١) لا يهدف الجهاد في
الإسلام إلى الهجوم أو الصدام وإنما يعني فقط بالدفاع.

• ويعبر عن رؤية الإسلام هذه الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا
أَسْطَظَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وعبارة: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، تؤكد معنى
الجهاد في الإسلام وأهدافه، فهو لا يريد قتل الأعداء، ولا التخلص
منهم، وإنما يريد كف عدوانهم، ومجرد إرهابهم، أو تخويفهم فحسب،
وهو بذلك يبتعد عن التقاتل، والصراع.

إن الهدف الأساسي من الجهاد أو (التقاتل). هو رد الاعتداء، لأنه
بعد أن انتشر الإسلام في البقاع صار المسلمون في وسط أعدائهم الذين
يتحينون الفرصة للانقضاض على الإسلام وأهله، وإن سكتوا فليستعدوا
ويضربوا الضربة التي يرونها قاصمة، فكان لابد أن يسبقهم الإسلام.
والهجوم في أحيان كثيرة قد يكون الطريق الوحيد لرد الاعتداء.

لكن الإسلام لا يريد أن يأخذ مخالفيه على غرة، بل هو يعلنهم
وقبل الهجوم، وإعلانه دليل على أنه لا يقصد بالقتال أن يستولى
على أرض، بل يريد أن يأمن جانبهم، إما بالعهد يعقدونه أو

(١) أحمد بهجت. صندوق الدنيا- جريدة الآخر القاهرة ١٧ نوفمبر سنة ٢٠٠٨.

بالإسلام يعتنقونه ، فإن لم يكن واحداً من هذين فلا بد أن يقوا أنفسهم منه .

لقد تحقق الجهاد في الإسلام ، بدافع وحيد هو دفع الاعتداء ، أي رد العدوان . وهذا واضح في نصوص القرآن الكريم ، وأحكام السنة النبوية ، فلم يقاتل النبي ﷺ لفرض الإسلام ديناً على المخالفين ، ولا لفرض نظام اجتماعي قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدَّبَيْنَ الرُّسُلَ مِنَ النَّبِيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦) وأكدت النصوص القرآنية أن القتال في الإسلام لا يكون إلا لرد العدوان ، وقد تأمل الشيخ محمد أبو زهرة^(١) في كتابه (نظرية الحرب في الإسلام).

هذه المعاني التي جاءت في الآيات الكريمة :

﴿ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

• قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَنِّلِكُمْ فِي الدِّينِ وَلَرْمِضُكُم مِّن دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَتْلُكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرُجُكُمْ مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ المتحنة (٨، ٩).

إن الجهاد في الإسلام يهدف إلى تحقيق السلام والرخاء للبشرية ، والبعد عن العنف ، والتخريب .

وقد عزز التاريخ العظيم للعالم الإسلامي كل معاني التسامح ، والمحبة ، والتعايش السلمي بين البشر...

(١) محمد أبو زهرة - نظرية الحرب في الإسلام.